

تفسير ابن كثير

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون) هذا من تمام الكلام الذي قبله ، أي : وإن الصلاة أو الوصاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، أي : [يعلمون أنهم] محشورون إليه يوم القيامة ، معروضون عليه ، وأنهم إليه راجعون ، أي : أمورهم راجعة إلى مشيئته ، يحكم فيها ما يشاء بعدله ، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات . فأما قوله : (يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال ابن جرير ، رحمه الله : العرب قد تسمي اليقين ظنا ، والشك ظنا ، نظير تسميتهم الظلمة سدفة ، والضياء سدفة ، والمغيث صارخا ، والمستغيث صارخا ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده ، كما قال دريد بن الصمة : فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرديعني بذلك : تيقنوا بألفي مدجج يأتاكم ، وقال عميرة بن طارق : بأن يعتزوا قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظن غيبا مرجمايعني : وأجعل مني اليقين غيبا مرجما ، قال : والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن

في معنى اليقين أكثر من أن تحصر ، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ، ومنه قول الله تعالى : (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) [الكهف : 53] . ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : كل ظن في القرآن يقين ، أي : ظننت وظنوا . وحدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو داود الحفري ، عن سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كل ظن في القرآن فهو علم . وهذا سند صحيح . وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال : الظن هاهنا يقين . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وقتادة نحو قول أبي العالية . وقال سنيد ، عن حجاج ، عن ابن جريج : (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) علموا أنهم ملاقو ربهم ، كقوله : (إني ظننت أنني ملاق حسايه) [الحاقة : 20] يقول : علمت . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . قلت : وفي الصحيح : أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم أزوجك ، ألم أكرمك ، ألم أسخر لك الخيل والإبل ، وأدرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى . فيقول الله تعالى : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول الله :

اليوم أنساك كما نسيتني . وسيأتي مبسوطا عند قوله : (نسوا الله فسيهم) [التوبة : 67]
إن شاء الله ، والله تعالى أعلم .